كلمة التحرير

في زمنٍ تتكاثف فيه الاضطرابات التي تعصف بمجتمعاتنا، من انكفاءاتٍ هويّاتيّة، وهيمنةِ اللحظيّ العابر، واستقطابِ الخطابات، يُستدعى البحثُ الجامعيّ إلى مهمّةٍ شاقّة: مهمّةِ التأويل النقديّ. ولا يكتفي هذا العدد، ببنيته الثنائيّة اللغة، بوضع المقالات جنبًا إلى جنب؛ بل يرسم مسارًا فكريًّا تتجاوب فيه الأصداء بين اللغتَين، مُكرِّسًا نهجًا واحدًا متمثّلًا في الآتي: إنّ إعادة القراءة النقديّة شرطٌ لا غنًى عنه لتجديد المعنى.

القسم العربيّ: إعادة التفكير في الهويّة والرابط

يفتتح القسم العربيّ هذا المسار بإعادة مساءلة مفهوم الهويّة نفسه. فدراسة «بين الهويّة والانتماء – من أنت يا بولس؟» لا تروي حكاية اهتداء أو دعوة عابرة، بل تُحلّل، عبر الإصحاح الثالث من الرسالة إلى أهل فيلبّي، فعلًا جذريًّا لإعادة التقييم وقراءة الحياة. فبولس لا يتبرّأ من ماضيه كفريسيٍّ غيور، بل يضعه في خانة «الخسارة» (*ζημία*) و«النفاية» (*σκύβαλα*) أمام سموّ معرفة المسيح. هكذا، تتأسّس الهويّة تأسُّسًا بعيدًا من الإرثِ الجامد، إذ تقوم على انتقال قيميّ عميق، أي على انقلابٍ جوهريّ في البنية القيميّة للذات.

وتستدعي هذه الجرأة الروحيّة فضيلةً تُضاهيها جذريّةً: الرجاء. يُقارب المقال المخصّص لهذا المحور رؤية البابا فرنسيس، حيث الرجاءُ انتظارٌ فاعل وثقةٌ بالوعد، في مقابل القراءة الفلسفيّة لأندريه كونت–سبونفيل، الذي يحصر الرجاء في رغبةٍ محكومة بالخيبة. لم يعد السؤال المطروح: «هل نرجو؟» بل: «كيف نرجو من غير أن ننزلق إلى الوهم؟».

ومتى أُعيد التفكير في الهويّة وفي الفضيلة، انفتح الأفق على الجماعة. تُثبت دراسة «مفهوم الأخوّة في فكر أبي حامد الغزالي» أنّ التوحيد الحقيقيّ لا يتقوقع داخل جماعة المؤمنين وحدها. فمن خلال تراتبيّة في الحبّ تبلغ ذروتها في الحبّ «لله وحده»، تُظهر الدراسة كيف يرسُم الغزاليّ أخلاقيّات أخوّة تتجاوز حدود الجماعة لتشمل الخليقة كلّها، مانحةً الحدس المعاصر حول الأخوّة الإنسانيّة عمقًا لاهوتيًّا وتاريخيًّا.

ويمتدّ هذا المنظور الكونيّ إلى مشروع إصلاحيّ في فكر محمّد الطالبي، كما يُبرز مقال «سبل إحياء دور الإسلام في العالم المعاصر»، الذي يقترح قراءةً متجدّدةً للإسلام قادرةً على

محاورة الحداثة من دون التخلّي عن أصولها. غير أنّ الأخوّة والحوار لا يبلغان فاعليّتهما في عزلةٍ عن التجديد في أدوات التواصل. لذلك يُقدّم مقال «تجاوز الثنائيّات – نحو حوارٍ متعدّد الأبعاد في الثقافة العربيّة» نقدًا إبستمولوجيًّا للثنائيّات المستهلكة (شرق/ غرب، نحن/ هم). واستلهامًا من فرانز مارتن ويمر، يدعو المقال إلى نموذج لامركزيّ متشابك، متعدِّد المراكز ومتزامن التفاعلات، قادر وحده على إنصاف التعدّديّة الداخليّة للثقافة العربيّة وتجاوز عقم المواجهة المباشرة.

القسم الفرنسيّ: العقل المؤمن والوساطات الحديثة

يُواصل القسم الفرنسيّ هذا الجهد في مواجهته مع بُنى الحداثة. ففي سياق تحليل «الحداثة في فكر عبد السلام ياسين»، تتجلّى صرامة الرفض المنهجيّ الذي صاغه ياسين تجاه الغرب، كما تتجلّى مآزقه ومسالكه المسدودة. يُظهر المقال أنّ ياسين لا يضع الإيمان في مواجهة العقل فحسب، بل يضع «سيادة الوحي» في مواجهة «سيادة الساحة العامّة» (*agora*)، ويرى العلمانيّة امتدادًا لعداء تاريخيّ يبدأ بالحروب الصليبيّة وينتهي بالصهيونيّة. غير أنّ هذا التأويل، على قوّته، يغامر بتجاهل التنوّعات الداخليّة للحداثة وقدرتها على نقد ذاتها.

ولا تنفصل الحداثة اليوم عن بُعدها الإعلاميّ. في هذا الإطار تستكشف دراسة «بين الدين والإعلام» ديناميكيّة «الريبة والتحالف» التي تطبع علاقة المؤسّسات الدينيّة بالإعلام، وتُشدّد على واقع «فقدان السيطرة على الخطاب» من قِبَل هذه المؤسّسات، داعيةً إلى تأهيل صحفيّين، بوصفهم «صنّاع سلام» عمليّين، قادرين على تناول الشأن الدينيّ من دون تبسيط أو تسييس.

ولكيلا نقف موقف المتلقّي أمام هذه التحوّلات، لا بدّ من الرجوع إلى منهجيّة تأسيسيّة. هذا ما يقدّمه المقال المحوريّ «قراءة وإعادات قراءة»، الذي يشكّل حجر الزاوية لهذا العدد. فبفضل تلاقي المقاربات الكتابيّة والآبائيّة والعقائديّة، يَعرض المقال القراءة بوصفها انتقالًا (*metanoia*) يقبل فيه القارئ أن يتحوّل. وسواءٌ في إعادة قراءة التلاميذ كلمات المسيح بعد القيامة، أو في إعادة توجيه آباء الكنيسة الفلسفةَ اليونانيّة نحو «اللوغوس»، يبقى المبدأ واحدًا: أنّ العقيدة، وبتعبير تيموثي رادكليف، ليست تعريفًا يُغلق الباب، بل «أيقونة تدعو إلى مواصلة الحجّ نحو السرّ».

مقالات طلّاب الدكتوراه: رهاناتٌ حيّة

ولأنّ البحث كائنٌ حيّ، يفسح هذا العدد حيّزًا لأصوات الباحثين الناشئين الذين يتناولون قضايا وجوديّة حاسمة. تُوسِّع إسهاماتهم موضوع «الانتقال» فيقدّم مقال «الانسجام المقدّس في العائلة المارونيّة» قراءة جديدة للأسس اللاهوتيّة للخليّة العائليّة، فيما تُعيد دراسة البيوإيتيقا العربيّة «الحياة على محكّ التقنيّة» مساءلة المقولات الكلاسيكيّة في ضوء تحدّيات التكنولوجيا المعاصرة.

ويُختتم العدد بقسمٍ يعرض ملخّصات الأطروحات التي نُوقشت خلال العام، مانحًا القارئ خارطةً واضحةً للورشات الفكريّة التي تنطلق اليوم في رحاب كلّيّتنا، وهي ورشاتٌ تُعاد فيها قراءة التقليد قراءةً خلاّقة تُنضج الحاضر وتفتحه على إمكانٍ جديد.

وعبر هذه الصفحات، باللغتَين العربيّة والفرنسيّة، تُجدّد المجلّة تأكيدها أنّ حيويّة الفكر تكمن في قدرته على إعادة قراءة أسسه نفسها، ليُحسنَ إعادة ربط شظايا عالمٍ يبحث، بكلّ توتّره، عن المعنى.

لينا إسكندر حوّاط

رئيسة التحرير